الباب الأول

في بيانِ وجودِ الجنةِ الآن

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ ، والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديثِ قاطبة ، وفقهاء الإسلام ، وأهل التصوفِ ، والزهدِ على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوصِ الكتابِ والسنة ، وما عُلِمَ بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولِهم إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها ، وأخبروا بها إلى أن نبغت[1] نابغة من القدرية[2] والمعتزلة[3] فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن ، وقالت : بل اللهُ يُنشئُها يومَ المعاد ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما[4] يَفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خَلْقِه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات[5] وقالوا: خَلق الجنة قبل الجزاءِ عبث،فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها.

وقالوا: ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً،وأعدَّ[6] فيها ألوان الأطعمة، والآلات والمصالح ، وعطَّلها من الناسِ ، ولم يمكنهم من دخولها قروناً

(١) نبغ : ظهر وتفوق .

(٢) القدرية : فرقة أنكرت القدر ، ونفت علم الله عز وجل بالأشياء قبل وقوعها ، وأثبتوا للإنسان قدرة على خلق أفعاله .

(٣) المعتزلة : فرقة من المتكلمين ، شذت عن أهل السنة ، وأول رجالها واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقة الحسن البصري ، وكان من أكبر رجال هذه الفرقة : إبراهيم النظام . وأبو الهذيل العلاف . أولوا من النصوص كل ما يخالف ما برونه بعقولهم .

(٤) في هامش الأصل: فيما

(٥) والجهمية : فرقة من المبتدعة نسبوا إلى جهم بن صفوان آمنوا بالجبر ، ونفوا الصفات الإلهية .

(٦) في هامش الأصل: اتخذ.

متطاولة ، لم يكن ما فعله واقعاً على وجهِ الحكمةِ ، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه ، فحجروا على الربِّ تبارك وتعالى بعقولهم الفاسدة ، وآرائِهم الباطلة !! وشبَّهوا أفعالَه بأفعالهم ، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب . أو حرَّفوها عن مواضِعها ، وضلَّلوا وبدَّعوا من خالفهم فيها ، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا يَذكرُ السلفُ في عقائدِهم : أنَّ الجنةَ والنارَ مخلوقتان ، ويذكر من صنفَ في المقالات أن هذه مقالة أهلِ السنةِ ، والحديث قاطبة لا يختلفون فيها .

قال الإمام أبو الحسن الأشعري[1] في كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» [ص: ٢١١]: جملة ما عليه أصحاب الحديث، وأهل السنة الإقرار بالله وملائكتِه وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يَرُدُّون من ذلك شيئاً والله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنَّ الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى على عرشِه ، كما قال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] . وكما قال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ، [المائدة : ٦٤] ، وأن له عينين بلا كيف ، كما قال : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] ، وأن له وجهاً ، كما قال : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ والإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، وأن أسماءَ الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن لله علماً كما قال : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء :١٦٦] وكما قال : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فاطر : ١١] ، وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة كما قال : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الذي خَلَقَهُمْ

---

(١) هو العلامة إمام أهل الكلام علي بن إسماعيل من ذرية أبي موسى الأشعري ، ولد ٢٦٠ هـ ، وكانت وفاته ٣٣٠ هـ انظر ترجمته مفصلة في « سير أعلام النبلاء » ١٥/ ٨٥ ـ ٩٠ .

﴿ أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥] ، وقالوا : إنه لا يكون في الأرضِ من خيرٍ ، ولا شرٍ إلا ما شاء الله ، وإن الأشياء تكون بمشيئة اللهِ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله ﴾ [الإنسان : ٣٠] ، وكما قال المسلمون : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقالوا : إنَّ أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعلَه ، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن عِلْمِ الله ، أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله ، وأقروا أنه لا خالقَ إلا الله تعالى ، وأن أعمال العبادِ، يخلقُها الله تعالى ، وأن العباد لا يقدرون أن يَخلقوا شيئاً ، وأن الله تعالى وفَّقَ المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين ، ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحَهُمْ وهداهم ، ولم يلْطفْ بالكافرين ، ولا أصلحهم ، ولا هداهم،ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مُهتدين ، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ، ويلطفَ بهم ، حتى يَكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين[1] كما عَلِمَ ، وخذلهم وأضلهم ، وطبع على قلوبهم ، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم إلى الله ، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت ، والفقر إلى الله في كل حال .

ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في الوقف واللفظِ ، فمن قال : باللفظ أو بالوقفِ فهو مبتدع عندهم ، لا يقال : اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال : غير مخلوق . ويقولون : إنَّ الله تعالى يُرى بالأبصارِ يومَ القيامةِ ، كما يرى القمرُ ليلةَ البدرِ ، ويراه المؤمنون ، ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله تعالى محجوبون ، قال الله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَومَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] ، وأن موسى عليهِ السلامُ سأل الله سبحانَه وتعالى الرؤيةَ في الدنيا ، وأن الله تعالى تجلى للجبل ، فجعله دكاً ، فأعلمه

---

(١) أي أن يكونوا كافرين باختيارهم الكفر . لا أن الله عز وجل ألجأهم إليه ، وقضى به عليهم من غير ذنب منهم . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

بذلك أنه لا يراه في الدنيا ، بل يراهُ في الآخرة ، ولا يكفِّرون أحداً من أهلِ القبلةِ بذنبٍ يرتكبه ، كنحو الزنى والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائرِ .

وهم بما معهم من الإيمانِ مؤمنون ، وإن ارتكبوا الكبائرَ ، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسله ، وبالقدرِ خيره وشره حلوه ومره ، وأن ما أخطأَهم لم يكنْ ليصيبهم ، وأن ما أصابهم لم يكنْ ليُخطئهم ، والإسلام هو أن يشهدَ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، كما جاء في الحديثِ . والإسلام عندهم غير الإيمان ، ويقرون بأن الله مقلبُ القلوب ، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ ، وأنها لأهلِ الكبائرِ من أمته ، وبعذاب القبر ، وأن الحوضَ حق ، والصراطَ حقٌّ ، والبعثَ بعد الموتِ حق ، والمحاسبةَ من الله للعباد حق ، والوقوف بين يدي الله تعالى حقٌّ ، ويُقرّون بأن الإيمان قول ، وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق .

ويقولون : أسماءُ الله هي الله تعالى ، ولا يشهدون على أحد من أهلِ الكبائرِ بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين ، حتى يكونَ الله تعالى نزَّلَهم حيث شاء . ويقولون : أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم ، وإن شاءَ غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله ، تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار ، على ما جاءت به الروايات عن رسولِ الله ﷺ ، ويُنكِرون الجدل والمراء في الدين ، والخصومة في القدرِ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدلِ ، وَيَتَنَازَعُونَ فيه من دينِهم بالتسليم للرواياتِ الصحيحةِ ، ولِمَا جاءت به الآثار التي رواها الثقاتُ عدلاً عن عدلٍ ، حتى ينتهي ذلك إلى رسولِ الله ﷺ ، ولا يقولون كيف، ولا لِم ، لأن ذلك بدعة .

ويقولون : إن الله تعالى لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه ، وأمر بالخيرِ ، ولم يرضَ بالشِركِ ، وإن كان مريداً له ، ويعرفون حق السلفِ الذين اختارهم الله تعالى لصحبةِ نبيه ﷺ ، ويأخذون بفضائِلهم ، ويسكتون عمَّا شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علياً رضي الله عنهم ، ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديّون ، وأنهم أفضلُ الناس كلِّهم بعد رسول الله ﷺ ، ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسولِ الله ﷺ « أنَّ الله

يَنزِلُ إلى السَّماءِ الدنيا فيقولُ : هل من مستغفرٍ ؟ »[1] ، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ، ويأخذون بالكتاب والسنة ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

ويَرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يتبعوا في دينِهم ما لم يأذن به الله ؛ ويُقرّون أن الله تعالى يجيء يوم القيامة ، كما قال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفاً صَفاً ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] .

ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كلِّ إمام بر أو فاجر ، ويثبتون المسحَ على الخفين سُنّة ، ويرون ذلك في الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهادِ للمشركين منذ بعثَ الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابةٍ تُقاتل الدجال ، وبعد ذلك .

ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، وأن لا يخرج عليهم بالسيف ، وأن لا يقاتلوا في الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال ، وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله ، ويؤمنون بمنكر ونكير ، والمعراجِ والرؤيا في المنامِ ، وأن الدعاءَ لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصلُ إليهم ، ويصدقون أن في الدنيا سحرة ، وأن الساحر كافر ، كما قال الله تعالى ، وأن السِّحر كائن موجود في الدنيا .

ويرون الصلاةَ على كلِ من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ، ويقرون أن الجنةَ والنارَ مخلوقتان ، وأنَّ من مات ماتَ بأجلِه ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قِبَل الله تعالى يرزقها عباده حلالاً كانت أو حراماً ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ، ويشككه ويخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآياتِ تظهر عليهم ، وأنّ السنةَ لا تنسخُ بالقرآنَ ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاءَ عذَّبَهم ، وإنْ شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون ، وكتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله تعالى .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢١) في الدعوات ، وغيرها : باب الدعاء نصف الليل ، ومسلم (٧٥٨) في صلاة المسافرين : باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل .

ويَرون الصبرَ على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله عنه ، وإخلاصَ العمل [لله] والنصيحةَ للمسلمين ، ويدينون بعبادةِ الله في العابدين، والنصيحةِ لجماعةِ المسلمين ، واجتنابَ الكبائر ، والزنى ، وقولِ الزور ، والمعصية ، والفجور ، والكبر ، والازدراء على الناس ، والعجب .

ويرون مجانبة كل داعٍ إلى بدعة ، والتشاغل بقراءةِ القرآن ،وكتابة الآثار، والنظر في الفقهِ مع التواضعِ والاستكانة وحُسْنَ الخلقِ ، وبذلَ المعروفِ ، وكفَّ الأذى ، وترك الغيبة والنميمةِ والسعاية ، وتفقد المأكل والمشرب، فهذه جملةُ ما يَأمُرونَ به ، ويستعملونَه ويَرونه ،وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب . وما توفيقُنا إلا بالله، وهو حسبُنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين ، وعليه نتوكل وإليه المصير .

والمقصود حكايته عن جميعِ أهلِ السنَّةِ والحديث : أن الجنة والنارَ مخلوقتان، وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة ، وأن أهل هذه المقالة هم أهلها ، وبالله التوفيق .

وقد دلَّ على ذلك من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم : ١٣ - ١٥] ، وقد رأى النبي ﷺ سِدرةَ المُنْتَهى ، ورأى عندها الجنة كما في « الصحيحين » من حديث أنس ابن مالك في قصة الإسراء وفي آخره : « ثُمَّ انطلقَ بي جبريلُ حتى أتى سدرةَ المنتهى ، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي ؟ قال : ثُمَّ دخلتُ الجنةَ فإذا فيها جَنابذُ اللؤلؤ ، وإذا ترابُها المِسكُ »[1] .

وفي « الصحيحين » من حديث عبدِ الله بن عمر أن رسولَ الله قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) في الصلاة: باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ومسلم (٢٥٩) في الإيمان : باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات .

جنابذ: قال في «الفتح»: الجنابذ شبه القباب. واحدها جُنبذة بالضم، وهو ما ارتفع من البناء واستدار، فهو فارسي معرب.

« إنَّ أحدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداةِ والعَشِيِّ ، إن كانَ من أهلِ الجنةِ فمن أهلِ الجنَّة ، وإن كان من أهلِ النارِ فمن أهلِ النارِ ، فيُقال هذا مقعدُكَ حتى يبعثَكَ الله تعالى يومَ القيامةِ »[1] .

وفي « المسند » ، و« صحيح »[2] الحاكم ، وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال : خرجنا معَ رسولِ الله ﷺ في جَنازةِ رجلٍ من الأنصار ـ فذكر الحديث بطوله ، وفيه : « فيُنادي مناد من السماء : أنْ صَدَقَ عبدي ، فأفرشُوهُ من الجنَّة ، وألبسُوه من الجنةِ ، وافتحُوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من رَوْحِها وطيبها »[3] . وذكر الحديث .

وفي « الصحيحين » من حديثِ أنسِ بن مالكٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن العبدَ إذا وُضِعَ في القبر وتَولَّى عنه أصحابُه وإنَّه ليسمعُ قَرْعَ نعالِهم قال : فَيَأتيهِ مَلَكانِ فيقعدانه، فيقولان له : ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ ؟ قال : فأمَّا المؤمنُ فيقولُ : أشهدُ أنَّهُ عبدُ الله ورسوله ، قال : فيقولان له : انظرْ إلى مَقْعَدِكَ من النارِ ، قد أبْدَلَكَ الله به مقعداً من الجنَّةِ . قال نبيُّ الله ﷺ ، فيراهما جميعاً »[4] .

وفي « صحيح » أبي عَوانة الإسْفَرايِيني و« سُنن » أبي داود من حديث البَراء بن عازب الطويل في قبضِ الرُوحِ : « ثم يُفتحُ له بابٌ من الجنَّةِ ، وبابٌ من النارِ ، فيُقال: هذا كان منزلَك لو عَصيتَ الله تعالى أبدلَكَ اللهُ به هذا ، فإذا رأى ما في الجنةِ قال : ربِّ عجِّلْ قيامَ الساعةِ كيما أرجعَ إلى أهلي ومالي ، فيُقالُ : اسكن »[5] .

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩) في الجنائز : باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ومسلم (٢٨٦٦) في الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

(٢) هذا التعبير فيه تساهل، لأن كتاب الحاكم يسمى « المستدرك » على الصحيحين ، وكيف يصح إطلاق الصحة عليه ، وفيه الضعيف والموضوع كما هو معلوم عند أئمة النقد من المحدثين .

(٣) أخرجه أحمد ٤/٢٨٧ ، والحاكم في « المستدرك » ١/٣٧ ـ ٣٨.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٧٤) في الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر ، ومسلم (٢٨٧٠) في الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار .

(٥) أخرجه أبو داود (٤٧٦٣) في السنة : باب في المسألة في القبر وعذاب القبر .

وفي « مُسند » البزَّارِ وغيره من حديث أبي سعد الخُدْرِي قال : شهدنا مع النبيِّ ﷺ جَنازةً ، فقال رسولُ الله ﷺ : « يأيها الناسُ، إنَّ هذه الأمة تُبْتَلىٰ في قبورِها ، فإذا دُفِنَ الإنسانُ وتفرّقَ عنه أصحابُه ، جاءهُ مَلكٌ في يدِه مِطراقٌ فأقعدَه فقال : ما تقولُ في هذا الرجل ؟ ـ يعني محمداً ﷺ ـ فإنْ كان مؤمناً ، قال : أشهدُ أنَّ لا إلـه إلا الله وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فيقولون [له] : صَدقتَ ، ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ فيقولون : هذا كان منزلَكَ لو كَفرتَ بربِّكَ ، فأمّا إذ آمنتَ به ، فهذا منزلُكَ ، فيُفتحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ فيريدُ أن ينهض إلى الجنَّة فيقولون له : اسكن »[1] وذكر الحديث .

وفي «صحيح» مسلم عن عائشة قالت: خُسفتِ الشمسُ في حياةِ رسولِ الله ﷺ، فذكرت الحديثَ إلى أن قالت: ثم قامَ، فخطبَ الناسَ، فأثنىٰ على الله بما هو أهلُهُ، ثم قال: «إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله تعالى، لا يُخْسَفان لموتِ أحد، ولا لحياتِه، فإذا رأيتموهما، فافزَعُوا إلى الصلاةِ»[2].

وقال رسولُ الله ﷺ : « رأيت في مقامي هذا كلَّ شيءٍ وُعِدْتُم ، حتى لقد رأيتُني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتُموني أُقَدِّمُ ، ولقد رأيتُ جهنم يَحْطِم بعضُها بعضاً حين رأيتموني تأخَّرتُ »[3] .

وفي « الصحيحين » واللفظ للبخاري عن عبدالله بن عباس قال : انخسفتِ الشمسُ على عهدِ النبيِّ ﷺ ، فذكر الحديث وفيه : فقال : « إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات الله ، لا يَخسفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله» فقالوا : يا رسولَ الله رأيناكَ تناولتَ شيئاً في مقامك ، ثم رأيناك تكعكعت ، فقال : «إني رأيتُ الجنَّة ، وتناولتُ عنقوداً ، ولو أصبتُه لأكلتُم منه ما بقيتِ الدنيا ، وأُرِيْتُ النارَ، فلم أرَ منظراً كاليومِ قطُّ أفظَعَ ،

---

(١) اخرجه البزار في «زوائده» (٨٧٢) وفيه اسكت بدل: اسكن، وأحمد ٣/٣، وقال الهيثمي في «المجمع» ٣/٤٧ ـ ٤٨ : رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه مسلم (٩٠١) في كتاب الكسوف : باب صلاة الكسوف ، وأخرجه البخاري (١٠٤٣) في كتاب الكسوف : باب الصلاة في كسوف الشمس ، عن المغيرة بن شعبة .

(٣) أخرجه البخاري (١٢١٢) في كتاب العمل في الصلاة: باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة.

ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ»، قالوا : بِمَ يا رسولَ الله ؟ قال : «بكُفْرِهنَّ». قيل: أيكفرن بالله ؟ قال :«يَكفرنَ العشيرَ، ويكفرنَ الإحسانَ ، لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ كلَّه ، ثم رأتْ منك شيئاً ، قالت : ما رأيتُ مِنْكَ خيراً قطُّ »[1] .

وفي « صحيح » البخاري عن أسماء بنت أبي بكر ، عن النبيِّ ﷺ في صلاةِ الكسوف قال : « قد دَنَتْ مني الجنَّة ، حتى لو اجترأتُ عليها لجئتُكم بقطافٍ من قِطافها ، ودنت مني النارُ حتى قُلتُ أي ربِّ ، وأنا معهم . فإذا امرأةٌ ، حسِبْتُ أنَّه قال : تَخدشُها هِرَّةٌ . قلت : ما شأنُ هذه ؟ قالوا : حَبَسَتْها حتى ماتتْ جوعاً ، لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكلُ »[2] .

وفي « صحيح » مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال : « عُرِضَ عليَّ كلُّ شيءٍ تُولجونَه ، فعُرِضَتْ عليَّ الجنَّةُ حتى تناولتُ منها قِطفاً فقصُرتْ يدي عنه ، وعُرِضَتْ عليَّ النارُ، فرأيتُ فيها امرأةً من بني إسرائيل تُعذَّبُ في هرةٍ لها » وذكر الحديث[3] .

وفي « صحيح » مسلم عنه في هذا الحديث : « ما من شيءٍ تُوعَدُونه إلا قد رأيتُه في صلاتي هذه ، لقد جِيء بالنارِ ، وذلك حينَ رأيتموني تأخرتُ مخافةَ أن يُصيبَني من لَفْحِها ، وحتى رأيت فيها صاحِبَ المِحْجَنِ يجرُّ قُصْبَه في النارِ، وكان يَسرِقُ الحاجَ بِمِحْجَنِهِ ، فإن فُطِنَ له قال : إنما تَعَلَّق بمحجني ، وإن غُفِل عنه ذَهبَ به ، وحتى رأيتُ فيها صاحبةَ الهرةِ التي ربطتها ، فلم تُطعمها ، ولم تدعها تأكلُ من خشاشِ الأرضِ ، حتى ماتت جوعاً، ثم جِيء بالجنَّةِ وذلكم حين رأيتموني تقدَّمتُ حتى[4] قمت في مقامي ، ولقد مددتُ يدي ، وأنا أريدُ

(١) أخرجه البخاري (١٠٥٢) في كتاب الكسوف : باب صلاة الكسوف جماعة ومسلم (٩٠٧) في كتاب الكسوف : باب ما عُرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف .
ومعنى كعكعت : تأخرت . . والعشير : المعاشر كالزوج وغيره. وفي الحديث جواز إطلاق الكفر على كفران الحقوق ، وإن لم يكن صاحبه كافراً بالله تعالى . ومعنى كفران الحقوق : جحودها وإنكارها .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٥) في الأذان : باب رقم ٩٠ .

(٣) أخرجه مسلم (٩٠٤) في الكسوف ؛ باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار .

(٤) في الأصل (حين) وما أثبتناه هو الموافق لما في مسلم .

أن أتناولَ من ثمرها لتنظروا إليه ، ثم بدا لي أن لا أفعل ، فما من شيءٍ توعدونَه إلا قد رأيتُه في صلاتي هذه »[1] .

وفي « مسند » الإمام أحمد ، « وسنن » أبي داود ، والنسائي من حديث عبدالله بن عمرو في هذه القصة : « والذي نفسُ محمدٍ بيده لقد أدنيت الجنةُ مني ، حتى لو بَسطت يدي لتعاطَيتُ من قُطوفها ، ولقد أُدْنِيت النارُ منِّي حتى لقد جَعَلْتُ أتقيها خشيةَ أن تغشاكُم » وذكر الحديث[2] .

وفي « صحيح » مسلم من حديث أنس بن مالك قال : بينما رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم ، إذا أُقيمتِ الصلاةُ فقال: «يا أيُّها الناسُ، إني إمامُكم فلا تَسبقوني بالرُّكوع ، ولا بالسجود ، ولا ترفعوا رؤوسكم ، فإني أراكم من أمامي ، ومن خلفي ، وايمُ الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً » ، قالوا : وما رأيتَ يا رسولَ الله ؟ قال: «رأيتُ الجنةَ والنارَ »[3] .

وفي «الموطأ» و«السنن» من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمةُ المؤمن طير تعلقُ في شجر الجنة حتى يُرجعها الله إلى جسده يوم القيامة»[4]. وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٩٠٤) (١٠) في الكسوف : باب (٣) ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار .

ومعنى من لفحها : أي من حَرِّ لهبها . والمحجن : عصا معقوفة الطرف، وصاحب المحجن رجل من أهل الجاهلية معه محجن كان يقعد في الطريق، ويسرق بمحجنه من المارة، وخشاش الأرض: حشراتها.

(٢) أخرجه أحمد : ٣٥١/٦ ، وأبو داود (١١٩٤) في الصلاة بنحوه . والنسائي ١٣٧/٣ .

لتعاطيت من قطوفها : تناولت من ثمارها ، والقُطُوف جمع قِطْف وهو الثمار المقطوفة ، وما أينع من الثمر وحان قطافه .

(٣) أخرجه مسلم (٤٢٦) في كتاب الصلاة : باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما . ولفظه : « فلا تسبقوني بالركوع ، ولا بالسجود، ولا بالقيام ، ولا بالانصراف » وفيه « والذي نفس محمد بيده » .

(٤) أخرجه مالك في « الموطأ » (٥٦٨) في الجنائز ، والنسائي ٤/ ١٠٨ ،وابن ماجه (٤٢٧١) في الزهد ، باب ذكر القبر والبلى .

ومثله حديث كعب بن مالك أيضاً عن النبيِّ ﷺ : « إنَّ أرواحَ الشهداءِ في [حواصل] طيرٍ خضرٍ تعلقُ في ثمرِ الجنةِ ، أو شجرِ الجنَّةِ »[1] رواه أهل السُّنن ، وصحَّحه الترمذي .

وسيأتي في آخر هذا الكتاب في الباب الذي يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنةَ قبل يوم القيامة ، تمامُ هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى ، وذكر دلالة القرآن على ما دلَّت عليه السنةُ من ذلك .

وفي « صحيح » مسلم ، و« السُّنن » و« المسند » من حديث أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال :« لما خلقَ الله تعالى الجنة والنار ،أرسل جبريلَ إلى الجنة فقال : اذهبْ ، فانظرْ إليها ، وإلى ما أعددتُ لأهلِها فيها ، فذهبَ فنظرَ إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها ، فرجع ، فقال : وعزَّتك لا يسمعُ بها أحدٌ إلا دخلها ، فأمر بالجنَّة فحُفَّت بالمكارِهِ ، فقال : فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فقال : فنظرَ إليها ، ثم رجع فقال : وعزتك لقد خَشِيتُ أن لا يدخُلها أحدٌ ، قال : ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظرْ إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها ، قال : فنظرَ إليها فإذا هي يركبُ بعضُها بعضاً ، ثم رجع فقال : وعزَّتك لا يدخلها أحد سمع بها ، [فأمر بها] فحفت بالشهواتِ ثم قال: اذهب فانظرْ إلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزَّتك لقد خشيتُ أن لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[2]

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة : « حُجِبت الجنَّة بالمكارِهِ ، وحُجِبَت النارُ بالشهوات »[3] .

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٤١) في الجهاد : باب ما جاء في ثواب الشهداء . وقال : حديث حسن صحيح ،وتقدم في « السنن » الحديث قبله .

الْحَواصِل : جمع حَوْصَلة : وهي انتفاخ في مرئي الطيور يختزن فيه الغذاء قبل وصوله إلى المعدة .

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٣٣ ،وأبو داود (٤٧٤٤) في السنة : باب في خلق الجنة والنار ، والترمذي (٢٥٦٠) في الجنة : باب ما جاء في خلود أهل الجنة ، وأهل النار . ولم أجده عند مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٨٧) في الرقاق : باب حجبت النار بالشهوات ، ومسلم (٢٨٢٣) في كتاب =

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ عن النبي ﷺ قال : « اختصمتِ الجنَّة والنارُ، فقالت الجنَّةُ : يا ربِّ ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار : يا ربِّ ما لها يدخُلها الجبارون والمتكبرون ؟ فقال : أنت رحمتي أُصيبُ بك من أشاءُ، وأنت عذابي أُصيبُ بكِ من أشاءُ، ولكل واحدة منكما مِلؤُها»[1].

وفي « الصحيحين » من حديث ابن عمر ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « اشتكت النار إلى ربِّها فقالت : يا ربِ أكلَ بعضي بعضاً ، فأذنَ لها بنَفَسَين : نفسٌ في الشتاء ، ونفسٌ في الصيف »[2] .

وروى الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن عبد الملك بن أبي بشير ورفع الحديث قال: «ما من يوم إلا والجنةُ والنار يسألان، تقولُ الجنة: يا ربِّ قد طابت ثماري، وأطَّردت أنهاري، واشتقتُ إلى أوليائي، فعجِّل إليَّ بأهلي. وتقول النارُ: اشتدّ حرِّي، وبَعُدَ قعري، وعظُمَ جمري، فعجِّل إليَّ بأهلي»[3].

وفي « صحيح » البخاري من حديث أنس عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « بينما أنا أسير في الجنة ، وإذا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدرِّ المجوف . قال : قلت : يا جبريل ما هذا؟ قال : هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك ، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفَر »[4] .

= الجنة : بلفظ : حفت . قال النووي : قال العلماء : هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن ، ومعناه : لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره ، والنار إلا بالشهوات . وكذلك هما محجوبتان بهما ، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحبوب . فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات .

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠) في التفسير : باب ﴿ وتقولُ هَلْ مِنْ مَزِيد ﴾ ، ومسلم (٢٨٤٦) في الجنة : باب (١٣) النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء . ولفظ البخاري « تحاجت » ، ومسلم «احتجت، وتحاجت».

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٠) في بدء الخلق : باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ومسلم (٦١٧) في المساجد ، باب (٣٢) استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر ، وكلاهما عن أبي هريرة .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٨٦) مختصراً .

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨١) في الرقاق ، باب في الحوض . =

وفي « صحيح » مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دخلتُ الجنَّة فرأيتُ فيها قصراً وداراً فقلتُ: لمن هذا، فقيل: لرجلٍ من قريشٍ، فرجوتُ أن أكونَ أنا هو، فقيل لعمر بن الخطاب، فلولا غيرتُكَ يا أبا حفص لدخلتُه»، قال: فبكى عمر، وقال: أَوَ يُغار عليك يا رسول الله ؟[1]. وسيأتي حديث بلال، وقول النبي ﷺ: «ما دخلتُ الجنَّة إلا سمعتُ خشخشتك بين يديَّ»[2] وغير ذلك من الأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالى

وقال عبدالله بن وهب: حدثنا معاوية بن صالح، عن عيسى بن عاصم، عن زِرِ بن حُبَيْش، عن أنس بن مالك قال: صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ ذات يوم صلاة الصُبح، ثم مدَّ يده، ثم أخَّرها، فلما سلَّم قيل له: يا رسول الله، لقد صنعت في صلاتك شيئاً لم تصنعه في غيرها، قال: «إني أُريتُ الجنَّة، فرأيتُ فيها دالية، قُطوفُها دانية، حَبُّها كالدُّباءِ، فأردت أن أتناول منها، فأُوحِيَ إليها أن استأْخِري فاستأخرت، ثم أريتُ النار فيما بيني وبينكم، حتى لقد رأيتُ ظلِّي وظلَّكُم، فأومأتُ إليكُم أن استأخِروا فأُوحي إليّ أقرّهم، فإنك أسلمت وأسلموا، وهاجرت وهاجروا، وجاهدتَ وجاهدوا، فلم أرَ لي عليكم فضلاً إلا بالنُبوة»[3].

فإن قِيل: فما منعكم من الاحتجاجِ على وجودِها الآن بقصةِ آدم، ودخوله الجنَّة وإخراجه منها بأكلِهِ من الشجرةِ، والاستدلال بها في غاية الظُهورِ ؟

= حافتاه: جانباه. المجوف: الضخم الجوف. والجوف من كل شيء داخله وباطنه. والكوثر: الخير الكثير، ونهر في الجنة، يصب في الحوض. المسك الأذفر: المسك الجيّد.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٤) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥٧) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أم سليم، وبلال رضي الله عنهما والخشخشة، صوت الشيء اليابس إذا حَكَّ بعضه بعضاً.

(٣) لم نجده بهذا السياق، وحديث رؤية الجنة، ودنو الرسول منها مذكور في «صحيح» مسلم، وسبق تخريجه قريباً بغير هذا السياق، ص ٤٤ ت (٣) من حديث أنس رضي الله عنه مختصراً.

قيل : الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة في غاية الظهور ، فهو في غاية الغموض لاختلاف الناس في الجنة ، التي أسكنها آدم، هل كانت جنة الخُلدِ التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، أو كانت جنة في الأرض في شرفها ؟ ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا ، وما احتجّ به كل فريق على قولهم ، وما ردّ به الفريقُ الآخر عليهم بحول الله ، وقوته .